

قراءة في النظرية القيمة للدكتور عزي عبد الرحمان

الأستاذة : محمد بلقاسم صبرينة جامعة وهران احمد بن بلة 1

المقدمة :

إنّ فلسفة الاتصال تتخذ بين مجموع الأطر المعرفية الإنسانية والاجتماعية، التي تتناول الإنسان والمجتمع بالدراسة والتحليل، في كلّ ما يتمّ إنتاجه من ظواهر بواسطة أدوات مُمنهجة. قصد الوصول إلى نتائج قد تُقارب مستوى المقاربة النظرية. حين تنتهي الملاحظة العلمية، والسيرورة المنهجية للبحث إلى التأكيد على العلاقة الطردية بين مجموع متغيرات.

وإنّ كان هذا الإقرار يُرجّح نسبة المقاربات لا إطلاقها، ممّا يجعل منها محلّ ديمومة المسألة. وعلى اعتبار أنّ الظاهرة الاتصالية هي اجتماعية قبل كلّ شيء، وبامتياز. فلها بنيانها الذي لا ينفك عن بنياني الأنا الفردي والأنا الجمعي.

مع الحَبْكِ بينهما بأداة اللغة التي حسب «دوسوسير» ليست في واقعها الآني إلا انعكاساً لإرهاصاتها التطورية. والتي أفضت بالوقائع التزمّنية اللسانية عبر تزامن الحقب الاجتماعية إلى صيغتها الحالية. بالإضافة إلى متغير واقع اللغة في الظاهرة الاتصالية، افترض الرهان الحضاري، واقعاً تكنولوجيا سريعاً، وفُتّت فضاءاته الثورة الصناعية الغربية، والتفُلت من سطوة الدولة الكنسية إلى الدولة العلمانية في أوروبا. واحتضنته الثورة العلمية في جميع أطوارها. وانطلاقاً من رأس المال الصناعي دخلت أوروبا وأمريكا طور رأس المال المعلوماتي، وفي شروط اجتماعية وثقافية أخرى. لها سيرورتها التاريخية وولج العالم العربي والإسلامي الزمن الاستهلاكي كضرورة قصوى.

لأنَّ الطبيعة الإنسانية لا تعرف السكون، فإنَّ حَلَّ في تشكيلة اجتماعية ما، فإنه لا يعدو أن يكون عَرَضاً مَرَضِيّاً. وإن استفحل أصبح مُعَوِّقاً صريحاً في الاستمرارية الفاعلة حَضارياً.

و عليه فإنَّ النظرية القيمية للدكتور عزي عبد الرحمان تفترض طرحاً مفاهيمياً مقارباتياً. يفسّر الظاهرة الاتصالية، وفق الشروط الاجتماعية، التي تبلورت فيها. فكانت مُلاحظاتُهُ منطلقةً من عمقٍ معرفي. وثقل استشكال الظاهرة الاتصالية، من حيث العلاقة بوسائل الإعلام والاتصال عربياً. خاصة على مستوى البعد الدلالي الخطابي الإعلامي، والآثار القيمية التي يحملها ومدى انسجامها أو تعارضها مع سمات الهوية العربية والإسلامية.

وَنظراً للتحويلات العميقة التي فرضتها أجندة العولمة. والتي غيّرت موازين القوى الدولية، وأنظمة الحكم إلى غاية إحداث أقصى تغيير على مستوى البنية الاجتماعية، والبنية الفردية في نفسيّتها، أسلوب الحياة، طرق التعلّم، وأنماطه، مع تحديد صورة نمطية في مختلف نماذج الحياة تقاسُ بها معيارية حداثة الأنماط الثقافية.

فما هي أهم مفاهيم المقاربة القيمية للدكتور عزي عبد الرحمان؟ وإلى أي حدٍ يمكن اعتماد هذا الطرح في قراءة الواقع الاتصالي الرقمي على المستويين العربي والإسلامي؟

الفرضية: إن النظرية الحتمية القيمية للدكتور عزي عبد الرحمان تمثل حقلاً معرفياً ايبستيمياً خَصْباً، استثمار النظريات الغربية سوسيولوجيا واتصالياً ليضع حوصلةً نظرية

Une synthèse théorique على مستوى: المفهوم والمنهج صَقِلاً برصانة أكاديمية نواحي

التقصير التفسيري الغربي للظاهرة الاتصالية في المجتمعات العربية والإسلامية.

التحليل: يطرح الدكتور عزي عبد الرحمان إشكالية التنظير في الحقل الاتصالي من وجهة نظر الفردانية الهوياتية. واضعاً معالم تشخيصية، كون «أن الاتصال كنظرية تختص بمجال وسائل الإعلام والاتصال وحركية التفاعل الاجتماعي تعاني أزمة مرجعية»¹.

تشكل ارهاصات انطلاقة من «مجموعة من المؤثرات الثقافية والاجتماعية المتعددة كالمكان والزمان»². مما يجعل الأنساق المعرفية العربية والإسلامية في هذا الحقل العلمي بالذات تتأثر بالمدارس النظرية الغربية. سواء على مستوى: الطرح أو المنهج. الأمر الذي ينعكس على النتائج التحليلية للدراسات. بعدم الاتساق، خاصةً حين يتعلق الإشكال بالظاهرة الاتصالية، في بعدها التفاعلي بين الوساطة التكنولوجية، والطبيعة الاجتماعية.

ومن مؤشرات الخلل التي يحددها الدكتور «عزي»: «الكسل الفكري»³ أو الصبغة التراثية الباحثة عن التميز الهوياتي في ظل ثقافة العولمة.

ولقد شرح الدكتور محمد عمارة: مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي عموماً مفهماً: «القرآن والسنة، كمصدرين تشريع بالثابت»⁴. يقول: «إن هذا التجديد هو السبيل لوفاء هذا الثابت... فحتى يظلّ هذا البلاغ القرآني، وبيانه البنيوي ثابتاً في حياة هذه الأمة، لابد وأن يبقى فاعلاً في هذه الحياة، وإلا كان ثابتاً، ثباتاً مُتخفياً كما هو الحال مع المومياوات»⁵.

بالإضافة إلى أن المقاربة القيمية، تضطلع بطابع التجديد النظري. فإن هذا المُقتضى يستدعي تملك الأدوات العقلية التي تسمح بمناقشة المعطيات والإنتاجات الفكرية الغربية، ما بعد الحداثية. وتفعيلها وفق رؤية استشرافية لها منطلقاتها، وثوابتها. مما يجعل مآلاتها، مغايرة، ومتميزة. نظراً

¹ الدكتور: عبد الرحمان عزي -دراسات في نظرية الاتصال- نحو فكر إعلامي متميز -ط2-بيروت-مركز دراسات الوحدة العربية، ص 5.

² نفس المرجع السابق، ص 5.

³ د عزي عبد الرحمان-دراسات في نظرية الاتصال- نحو فكر إعلامي متميز، مرجع سبق ذكره، ص 08.

⁴ محمد عمارة-أزمة الفكر الإسلامي الحديث، ط1، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1998، ص 09.

⁵ نفس المرجع السابق، ص 09.

لأنطوائها على بعدٍ هوياتي. وهو ما عزّزه مفهوم القيمية. مع وضع بعض المفاهيم التي اتّسمت بطابع البداهة المعرفية، على محكّ النظر النقدي، كالعصبية، والرأي العام.

أمّا مفهوم «الكسل الثقافي»، الذي شخّصه الدكتور عزي عبد الرحمان كعارض من عوارض أزمة التنظير اتصاليا، فله ما يُوافقه من وجود تناصّي في أفكار مالك بن نبي حيث فسّر هذا المفكر الاجتماعي ثنائية (الحركة - الخمود)؛ على ضوء أفكار هيغل من خلال مبدأ التعارض «القضية ونقيضها» أو على ضوء «مبدأ الميكانيكا الكلاسيكي حين يحيل عناصر الخمود في وسطٍ معيّن إلى قيم حركية»¹. مُوضّحاً: «أي وسط ينطوي في الحقيقة على نصيب من الخمود، شأنه في ذلك، شأن أي وسط من المادّة، ونحن ندلّ على هذا الخمود في جانب الأفراد بصيغ مختلفة فنحدث أحياناً عن نقص الطاقة، وعن نقص الإرادة»².

وعليه فإن الزعة السكونية تقتضي أخرى حركية ولقد تأثر مالك بن نبي في هذه المسألة بأفكار «جون أرنول توينبي»: «فكرة التحدي المناسب»³. فعند هذا الأخير، «توينبي»: المجتمعات التي لا تتحرك إمّا أنّ التحدي لم يكن كافياً لدفع طاقتها إلى إيجابية وإمّا أنّ هذه المجتمعات قد عمدت إلى الفرار من طريقه»⁴.

هذه الوقفات، تبين عمق الفكرة القيمية اتصاليا، وأنّ أسسها التنظيرية، على صعيد البعد الطرحي مرتبطٌ بأفكار مالك بن نبي سوسيولوجياً.

أمّا على مستوى المنهج، فقد استدخل الدكتور عزي عبد الرحمان المقاربات المنهجية السوسيولوجية الغربية، في تحديده للبنى المدروسة.

¹ مالك بن نبي تر د. عبد الصبور شاهين - ميلاد المجتمع - شبكة العلاقات - الجزء الأول - دمشق - دار الفكر، 1986، ص 20.

² نفس المرجع السابق ص 20،

³ مالك بن نبي تر د. عبد الصبور شاهين - ميلاد مجتمع - شبكة العلاقات، مرجع سبق ذكره، ص 23.

⁴ نفس المرجع السابق، ص 23.

وكذا البعد الوظيفي لوسائل الإعلام والاتصال، بين ما يجب أن تكون عليه، وما هو كائن، دون إغفاله للتداعيات التأثيرية للوساطة التكنولوجية. سواء على مستوى الحواس متأثراً

في ذلك بالطرح الماكلوهاني، أو من حيث المضمون معانياً الظاهرة الاتصالية عربياً وإسلامياً، من رؤية منهجية ظاهراتية إجمالاً. يقول: «وقد مكنتني تلك الأدوات من أن أنظر إلى الذات والثقافة من زاوية خارجية، وكأنني اكتشف هذه الذات والثقافة من جديد»¹.

وقد اعتبر ماريو بونتي أنّ مبدأ الظاهراتية بسيط يتمثل في الوعي بشيء ما، مؤكداً على دور التجربة الذاتية «l'expérience subjective»² أمّا «جون فرانسواز كورتين Jean Françoise courtine» فالظاهراتية لا تتميز بما هو؟ ولكن بكيف يتم البحث؟

«La phénoménologie ne se caractérise pas par : Ce que c'est mais le comment de la recherche»³.

ويظهر وجه التوافق بين طابع الدراسة، ومقتضيات المقاربة المنهجية، حديثه عن المجتمع الجزائري، وكأنه عمد إلى قراءة الظاهرة الاتصالية، وفق الخصوصية الثقافية المحلية الجزائرية. مستتبناً كنهها الجوهرية. لإعادة بناء معنى خاص بها. انطلاقاً من نظرة موضوعية واعية.

منوهاً، بدور المنظومة الأخلاقية. دون أن ينسب إليها لفظ الإسلامية أو التراثية. وإن كان بعض الظاهرتيين أمثال «هوسرل» يجعلون من الظاهراتية علماً فلسفياً يعني عالمياً⁴.

¹ د. عبد الرحمان عزي -دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز- مرجع سبق ذكره، ص 10.

² www.google.com

<https://Fr.wikipedia.org/wiki/phénoménologie>.

³ www.google.com

<https://Fr.wikipedia.org/wiki/phénoménologie>.

⁴ www.google.com

<https://Fr.wikipedia.org/wiki-phénoménologie> (philosophie)

« La phénoménologie... une science philosophique c'est-à-dire universelle »

فإنّ هذا المنطلق الفلسفي المنهجي تأكّد في اضطلاع النظرية بالوصف القيمي عموماً.

وهذه الطريقة في الاستقصاء والتي تعتمد نوعاً من التصعيد الفلسفي، في تضمين معنى الظاهرة. نستشفّ حضورها في الخطاب التنظيري القيمي. من خلال بعديه: المحلي والعالمي. أمّا نقطة التقاطع، فتتجلّى في مسألة سلامة الفطرة الإنسانية. وهو ما نعى نحوه الإمام: محمد الطاهر بن عاشور: قائلاً: "إن حكمة السماحة في الشريعة، أنّ الله جعل هذه الشريعة دين الفطرة، وأمور الفطرة، راجعة إلى الجبلة، فهي كائنة في النفوس سهل عليها قبولها"¹.

أمّا في لفظ القيمية، فقد قال الله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»².

حسب ابن كثير: «فسدّ وجهك واستمرّ على الدين الذي شرعه الله من الحنفية ملة إبراهيم... وأنت مع ذلك لازم فطرتك التي فطر الله الناس عليها... ذلك الدين القيم: أي التمسك بالشريعة والفطرة السليمة هو الدين القيم المستقيم»³.

وكذلك في قوله تعالى: «قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»⁴.

وفي رواية «ورش» قيماً، قال الزمخشري في تفسير قيماً: من قام كسيدي من ساد وهو أبلغ من القائم والقيم مصدر بمعنى القيام»⁵.

¹ الإمام الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية 2 تونس دار السلام 2014 ص 67.

² القرآن الكريم، سورة الروم، الآية 30.

³ الإمام أبي الفداء، الحافظ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم -المجلد الثالث، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، ص 320.

⁴ القرآن الكريم، سورة الأنعام الآية 16.

⁵ أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الجزء الثاني، ط1، مصر، المكتبة التوفيقية، 2012، ص 82.

هذا على صعيد المفهوم قرآنياً. بالإضافة إلى دلالاتٍ على مستوى إجرائية لفظ القيمة. واضطلاله بوظيفة سوسيو اتصالية في بناء النسق النظري.

بدءاً باعتبار البنية المؤسسية في النظام الإعلامي نسقاً باثناً لمخيل يتراوح بين إيجابية البلورة والتكوين. إذا تمثل الجانب المؤسسي الاتصالي الوظائف المناطة به. ليُخضعه إلى التصعيد الظاهراتي، فهو يُكوّن «مخيالاً»¹ ويرتقي بالواقع إلى الخيال. وهذه الوظيفة المثلى يُجسّدُها «الحزام الثقافي»² من تجلياته الدراما الإيجابية.

وإذا كان من مقتضيات الواقع غلبة الاضطرابات الدافعة إلى شحنات سلبية تتمظهر في أعراض القلق، الإحباط... الاكتئاب... فإن الانتقال من عالم التوضع³ أي الوضع الحقيقي إلى فضاء التمثيل ممثلاً فيما تَبَنُّهُ وسائل الاعلام والاتصال وفق عملية «التملجؤ»⁴ أي لجوء الفرد إلى مضامين هذه الوسائط، فراراً من وضعٍ مُعيّن. هو الذي من شأنه إعادة التوازن النفسي، لهذا المُلتقى. أي شحنه بدافعية إيجابية قصد إصلاح وضعيته.

وكانَّ وظائف: الوعظ، الإرشاد، التذكرة، التوجيه هي المهام الأصلية للمؤسسات الاتصالية. وقد استدلل على ذلك بقول الله تعالى: «...أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»⁵.

وتبرز طبيعة العلائق المستبطنة من أسس النظرية القيمية. في أنه: «يُمكن فهم العلاقة بين القيمة والمعتقد والإنسان لَوْ دَقَّقْنَا في معنى واشتقاقات كلمة الخلق، فالخالق تعالى هو الأول والآخر «...إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...» سورة فاطر،

¹ الدكتور: عبد الرحمان عزي، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر اعلامي متميز، مرجع سبق ذكره، ص 26.

² نفس المرجع السابق، ص 26.

³ نفس المرجع السابق، ص 26.

⁴ نفس المرجع السابق، ص 26.

⁵ سورة الرعد، الآية 28.

الآية 10، ومنها الإنسان من صنع الخالق تعالى «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ...» سورة طه
الآية 55، أَمَّا الْخُلُقُ بضمّ الخاء واللام فتشير إلى القيمة... ومن المعلوم أنّ خلق «من القيمة» الرسول
صلى الله عليه وسلّم كان خلقه القرآن. نستخلص من ذلك ثلاثية محورية لهذه النظرية تتمثل في:
الخلق-الخالق-الخلق أو القيمة الأخلاقية¹.

وباستخدام الصيغة الأسلوبية للدكتور عزي عبد الرحمان، فإنّ عملية الارتقاء القيمي تتمّ
على محورين:

أولهما: الارتقاء على مستوى الأنظمة الاتصالية: يقول الدكتور عزي عبد الرحمان: «هذه
الأنظمة المخيالية ومنها الاعلام بالإضافة إلى أنّها تحمل الإنسان عبْر الزّمان والمكان فإنّها تُمكنُ الإنسان
من النظر إلى وضعه من نوافذ عدّة، الشيء الذي يساهم في إغناء التجربة الإنسانية. ومن ثمّ الإرتقاء
بها إلى ما هو أعلى من الوضع»².

وعليه فإنّ هذه البنى التحتية لعملية الاتصال، تستثمر المشروعية الثقافية والاجتماعية،
خاصّة منها الأخلاقية القيمية. ممّا يستلزم من ناحية أخرى لم تذكرها النظرية «أحقّية التفويض
الاجتماعي»: أي أن يصادق المجتمع على أن المؤسسة الاتصالية (أ) أو (ب) تستحق المصادقة
الاجتماعية على أن تصبح ملجأً إعلامياً. يتملجؤ إليه الأفراد في أحوال التآزم أو الضيق، أو قصد
التنفيس بغية إعادة تأهيل قيمي للأفراد المتلقين.

هذا المخيال الإعلامي من مقتضياته في المجتمعات العربية والإسلامية، أن يُعدّ القرآن والسنة
النبوية، ثم الأنماط الثقافية المحلية، كالتراث الشعبي، أحد أهم مصادره. في شكل دامج بين «طبيعة
المادة الإعلامية والأطر المخيالية أي درجة اقتران الوضع الإعلامي بالمخيال»³.

¹ د. محمود محمد قلندر، د. محمد بابكر عوض، اتجاهات البحث في علم الاتصال نظرة تأصيلية، ط1، دمشق، القدس،
2009، ص 127.

² الدكتور عزي عبد الرحمان، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز، مرجع سبق ذكره، ص 27.

³ نفس المرجع السابق، ص 32.

وقد قرن الدكتور عزي عبد الرحمان المضامين الإعلامية القيمة بوظائف الحواس حيث أبدى تصويبات للنزعة الماكلوهانية.

فإذا كان «ماكلوهان» قد قسّم الوسائل الإعلامية إلى ساخنة وهي التي تعتمد على امتداد حاسة واحدة كالإذاعة. ووسائل باردة كالتلفاز. ومنه إلى الأنترنت، في ظل القرية العالمية، من خلال اشتراك لمختلف الحواس في ذات الآونة. مع تداعيات تأثيرية بسيكوزمنية. يحددها النمط الإدراكي الذي يتأثر بدوره بطبيعة التكنولوجيا. فقد فنّدت نظرية الحتمية القيمة هذا الطرح الكلاسيكي نظرياً حيث أورد مُنظَرُها: «إننا لا نتفق مع تقديمات ماكلوهان على مستوى كلّ من عملية ربط التطور التاريخي بشكل الاتصال ... في نظرنا يرتبط بالتحويلات أو القطاعات على مستوى البنى المعرفية أو المعاني وليس بالاكشافات التقنية»¹.

مقيماً نظرة ترابطية بنيوية لحاسي السمع والبصر «كونهما امتداداً لبعضهما البعض في المسار الأفقي»². والتوجهات الإدراكية تتمّ بجملة انتقاءات يحددها الإطار المرجعي، أو ما مفهمه الدكتور عزي: «بالإدراك القبلي Apperception»³.

أمّا المحور العمودي: فيتجلّى في عملية الاستعلاء الإدراكي من «المُجَسَّد»⁴ الصور الإعلامية إلى «المجرد»⁵: عالم الأفكار والمثل، مُركّزا على «مبدأ القصديّة»¹. كمعيار مُحدّد لنمط المجسد الذي يتم انتقاؤه.

¹ د. عزي عبد الرحمان، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر اعلامي متميز، مرجع سبق ذكره، ص 31.

² نفس المرجع السابق، ص 37.

³ نفس المرجع السابق، ص 39.

⁴ نفس المرجع السابق، ص 39.

⁵ نفس المرجع السابق، ص 39.

وهو في ذلك يطرح بشكلٍ ما ثنائية «البصر-والبصيرة». وأوّل تعليل في هذه المفارقة نطرحه هو مقتضى المقاربة اللغوية:

فأصل البصر: «بصره بصرًا وأبصاراً... نَظَرَ إليه»². أما البصيرة: فعقيدة القلب... أو اسم لما اعتقدَ في القلب من الدين وتحقيق الأمر»³.

هذا التوضيح اللغوي بإسقاطه، على المعطى النظري القيبي، يوافق عند الدكتور عزي عبد الرحمان فكرة المجسد في ظاهرة التلقي من الشاشة بحاسة الرؤية أي البصر. الذي بدوره تتحقق إدراكاته، واهتماماته البصرية حسب بصيرة المتلقي. فكلما ارتقى هذا الأخير نحو فضاء القيم وتناءى عن النزعات المادية، البيولوجية، والفيزيولوجية

التي تحركها الطبيعة الغريزية، استكمل استعلاءً أخلاقياً. يجعله يحتكم إلى المعاني الأخلاقية المتسامية.

و التي تملها سلامة الفطرة، وهو العالم المجرد، الجامع لمثل رمزية، إن تمّ استثمار فاعليتها تحوّلت من قيم مجرّدة إلى بناء حضاري قيبي.

و من الأدلة القرآنية الجامعة بين لفظي البصر والبصيرة على اختلاف المعنى بينهما. قوله تعالى: «قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ»⁴.

يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «البصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما أن البصر نور العين الذي به تبصّر»¹.

¹ نفس المرجع السابق، ص 41.

² الإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الانصاري، لسان العرب، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره، ص 153.

³ نفس المرجع السابق، ص 153.

⁴ القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية 104.

و عليه، فإن الوعي الذي تقترحه النظرية القيمية، مسؤولية متعددة الأقطاب تتحملها المؤسسات الإعلامية والاتصالية، من حيث أهمية الجودة القيمية للمجسد والذي ليس إلّا رموزاً حسية، وصوراً تشفيرية لعالم القيم المجردة. والمسؤولية الأخلاقية الثانية يأخذها المتلقي على عاتقه في عملية إنماء مداركه. وبإسقاطنا هذا التجريد النظري على واقعنا الإعلامي العربي والاتصالي.

يرى أحد المختصين في هذا النوع من الدراسات: أنّ تغيير الخطاب الإعلامي من خطاب دون استراتيجية إلى إعلام يوقف النزيف اليومي للهوية وإلى إيجاد إنسانٍ يحمل هوية، فالإنسان بلا هوية هو مقطوع الصلة بماضيه وتراثه محجوب عن كلّ ما يُبَصَّر على مرآة حاضره الكائن ومستقبله الذي سيكون»².

و من أهم ما يتعرض له الدكتور عزي عبد الرحمان في نظريته القيمية، مسألة استيراد المفاهيم في الحقل الإعلامي والاتصالي مع امتناع معايير التوافق بين كتلتين اجتماعيتين وثقافيتين مختلفتين، ومتمايزتين هوياتياً. مما له انعكاس على مستوى الدراسة والتنظير. مشيراً إلى مفهوم هام هو الرأي العام في التدوينات السوسيولوجية الغربية.

وأنه تبلور انطلاقاً من سياقات اجتماعية، ثقافية، سياسية واقتصادية غربية ترتبط بمفاهيم: الثورة الصناعية، الثورة العلمية، ثم الدولة العلمانية التي جاءت بعد النظرية الشيوعية للدولة. وهذه التبلورات تختلف عن الطابع: العصبي والقبلي عربياً والذي كان قوامه إلحام النسب والنعرات الطائفية. وإذا كان المفهوم الخلدوني يرى أن هذه المتغيرات أسهمت في زعزعة، وضعف الدول العربية والإسلامية في سياقها التاريخي.

¹ أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، الجزء الثاني، ط1، القاهرة، دار الكتب المصرية، 2012، ص 53.

² د. عبد الرحمان حجازي، الإعلام الإسلامي بين الواقع والمرجى، ط1، بيروت، دار المعرفة، 2009، ص 199-200.

فإن الدكتور عزي عبد الرحمان يضع ترجيحاً إيجابياً لهذه المفاهيم، في نظريته الإعلامية والاتصالية. كون هذه المتغيرات تساهم في رصانة البنيان الاجتماعي. وإن كان لا ينفي وجود وجوه سلبية على النحو الذي ذكرته الملاحظة الخلدونية.

و بناءً على هذا فإنّ البناء الاجتماعي المتراص يمنح التشكيلة الاجتماعية، المكونات التي يتأسس عليها الرأي العام. وعليه فإن أي حديث عن تغيير الرأي العام يفتح إمكانية «تشويه حقيقة هذا الرأي وتفاعله مع الأحداث التي ترد عليه عبر وسائل الاتصال الجماهيرية»¹. خاصة وأنه قد جعل من منطلقه التعريفي لهذا المفهوم قابليته للتغيير، يقول الدكتور عزي: «إن الرأي العام حالة آنية ظرفية»².

مقترحاً من الناحية الأكاديمية، إعادة النظر في التوظيف الاستعمالي لهذا للطرح ومقدماً بديلاً مفاهيمياً هو «المخيال المجسد»³ وذلك لما تثبته وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية كظاهرة محلّ دراسة المختصين.

و يضع أيضاً مفهوم «المخيال المجرد»⁴. لما يجب أن تكون عليه طبيعة البرامج الإعلامية، من مقتضى مضموني. «الكلمة والصورة» في إطار صناعة وبلورة الاتفاق الجمعي،

إعلامياً واتصالياً على مستوى التلقي. أو الرأي العام المطلوب حسب الطبيعة الاجتماعية والخصوصية الثقافية.

¹ د. عزي عبد الرحمان، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر اعلامي متميز، مرجع سبق ذكره، ص 68.

² نفس المرجع السابق، ص 69.

³ نفس المرجع السابق، ص 69.

⁴ نفس المرجع السابق ص 70

وعليه تنتهي هذه النظرية إلى إعادة النظر المنهجي والتكيفي للمفاهيم، في النظريات الإعلامية الاتصالية عموماً، والنظرية الإعلامية والاتصالية العربية والإسلامية خصوصاً. وتبيان أوجه العوز الأكاديمي، في الخلل الوظيفي للمفاهيم المستوردة من النظرية الاجتماعية الغربية حين إسقاطها على مجتمعاتنا بخصوصياتها.

كما تعتبر هذه النظرية إضافةً إلى الفكر العربي والإسلامي عموماً، والاتصالي على وجه الخصوص. من حيث وضع لبنات رؤية استراتيجية تصحيحية لواقعنا الاتصالي. مع الارتقاء «بالدراما» كقوالب رمزية معبرة عن الواقع في صيغ تمثيلية له. ممّا له شأن في تزويد المتلقي بإعادة بناء تموضعاته في واقعه الاجتماعي المحلي، والدولي الذي تفرضه الرهانات الرقمية الاتصالية في وضعها ما بعد الحداثي.

Résumé

Cet article représente la réflexion du chercheur Azzi Abderrahmane sur l'ensemble des théories de la communication qui reflètent un système de conception dans des contextes historiques et spatiales différents. Dr Azzi Abderrahmane tente à l'aide d'un regroupement des outils méthodologique et en impliquant certaines approches socio communicationnelles de cheminer autrement la perception conceptionnelle des

phénomènes communicationnelles dans la société algérienne et arabo musulmane en intégrant l'éthique comme un ensemble des normes morales et en insistant sur le rôle de la religion au niveau de la Conscience de l'individu. Pour mener cette réflexion le chercheur Azzi Abderrahmane a forgé un nouveau champ théorique qui traite les phénomènes communicationnelles à l'aide des issues de certaines écoles sociologiques, structuralisme, l'école fonctionnelle, et le courant phénoménologie. Pour enrichir cette réflexion.